حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

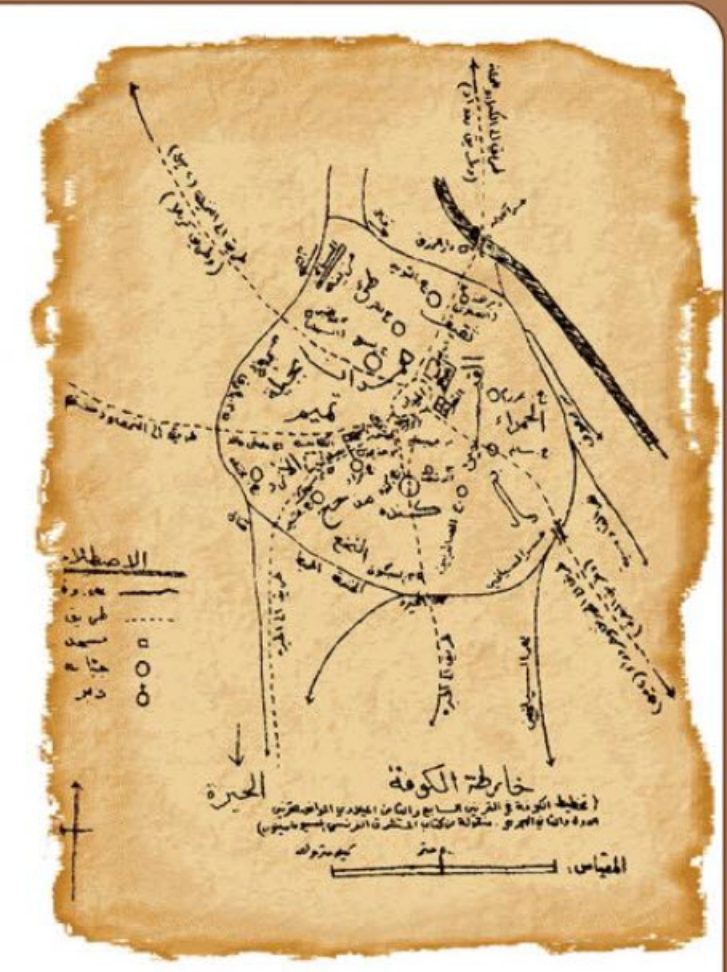

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

سليمان بن مهران الأعمش

(٦١- ١٤٨هـ)

الأستاذ مهدي عبد الحسين النجم

من شخصيات الكوفة وفقهائها ومحدثيها في القرن الثاني الهجري، عاش للعلم فبلغ به شأواً. إلا أن سيرته كانت من أطرف السير وأكثرها غرابة، فلقد كان من النساك والعباد وصاحب سنة وقرآن إلا أنه كان من أظرف الناس وأكثرهم مزاحاً.

وكان من أشد الناس فقراً وأكثرهم حاجة إلى مال إلا أنه كان من أعظم الناس جدالاً وأكثرهم هيبة حتى قال أحد تلامذته «ما رأيت الأغنياء ولا السلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته»[١].

ووصفه معاصروه أنه كان مجانباً للسلطان[٢] إلاّ أنه كان من أعظم الناس جرأة عليهم في قول الصدق والتزام الحق.

ولقد عرف فضل العلم عليه فكان يقول: «لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة»[٣].

وسنرى من سيرته أطرافاً من هذه النواحي المختلفة.

فهو سليمان بن مهران الأسدي مولاهم أصله من طبرستان من قرية يقال لها دنباوند[٤]، جاء به أبوه إلى الكوفة فاشتراه رجل من بني كاهل من بني أسد فأعتقه[٥]. وقيل أنه ولد في اليوم الذي استشهد فيه الحسين بن علي في العاشر من محرم سنة ٦١هـ وإن أباه شهد مقتل الحسين[٦].

(١) تاريخ بغداد، حـ٩ ص١٠.
(٢) تهذيب التهذيب، حـ٤. ص٢٢٢. طبعة ١٩٤٨.
(٣) عيون الأخبار حـ٢ ص١٣٧. طبعة الدار القومية.
(٤) تاريخ بغداد جـ٩ ص٣.
(٥) تاريخ بغداد جـ٩ ص٣.
(٦) وفيات الأعيان-حـ٢-ص١٣٧.

عاش أكثر عمره في الكوفة يطلب الحديث حتى أصبح من أعظم رواته وأكثرهم حفظاً، على ما كان يؤخذ على العراقيين من قلة علمهم بالحديث، إذ أخذ أكثر فقهائهم بالرأي في تخريج الأحكام. ولقد حدث إسحق بن راشد: إن الزهري كان إذ ذكر أهل العراق ضعف علمهم، قال: فقلت: أن بالكوفة مولى لبنى أسد يروى أربعة آلاف حديث: قال أربعة آلاف؟ قلت نعم إن شئت جئتك ببعض علمه، قال فجئ به فأتيته به فجعل يقرأ واعرف التغير فيه. وقال والله إن هذا لعلم، ما كنت أرى أحداً يعلم هذا[٧].

ولقد أخذ عليه بعض خصومه تشيعه، وإنه كان يروى في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحاديثاً زعموا إن فيها مبالغة فلم يرضوها، ولم ينكر ذلك على نفسه، إلاّ أن أحداً منهم لم يجرأ على اتهامه بالوضع والكذب فقد أخذ منه كثير من طلاب الحديث، وبقي إلى آخر عمره يقرأ الناس القرآن، إذ لم يثق الناس بقراءة أحد كثقتهم بقراءته «فكانوا يحضرون مصاحفهم فيعارضونها ويصلحونها على قراءته»[٨] بل كانوا يسمونه المصحف لصدقه[٩]، وقال عنه ابن عيينة «كان أقرأهم لكتاب الله وأعلمهم بالفرائض، وأحفظهم للحديث»[١٠].

ويبدو إن خلفاء عصره عرفوا شهرة الصدق فيه فأراده هشام بن عبد الملك أن يقول ما يرضيه فكتب إليه: «اكتب إلي مناقب عثمان ومساوئ علي، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: أنه آلى أن يقتلني إن لم آته

(٧) طبقات ابن سعد-حـ٦- ص٣٤٠. ط كتاب التحرير.
(٨) طبقات ابن سعد حـ٦ ص١٣٨.
(٩) تاريخ بغداد حـ٩. ص١٣.
(١٠) العبر في خبر من عبر حـ١ ص٢٠٩-الكويت.

بجوابك، وتحيل عليه إخوانه فقالوا له: يا أبا محمد نجه من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد -يا أمير المؤمنين- فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك والسلام»[1].

أدبه:

ولم يؤثر عن الأعمش في الأدب شيء نستطيع به أن نقيم ملكاته الأدبية، سوى نتف قليلة لم تخرج عن معاني النسّاك وأهل التقوى كالذي كتبه معزياً أحد إخوانه:

إنا نعزيك لا أنا على ثقة

من البقاء ولكن سنة الدينِ

فلا المعزي بباق بعد ميته

ولا المعزى وإن عاشا إلى حينِ[2]

ويبدو أن اشتغاله بجمع الحديث وروايته، قد منعه عن المحاولات الأدبية بالرغم من علائم القدرة البلاغية التي تظهر في كلامه.

الجانب السياسي في سيرته:

وعلى الرغم من مجانبته للسلطان والمشاكل السياسية يمكن القول أنه لم يتخل عن المشاركة في الأحداث المهمة، خاصة وإنه كان من أعلام الشيعة[3] الذين شغلوا الدولتين الأموية والعباسية في انتفاضات عديدة، فقد عدّه السيد عبد الرزاق المقرم من الفقهاء الذين بايعوا زيداً بن علي[4].

وجاء في مقاتل الطالبيين إن زيداً، دعاه لنصرته، فبعث إليه (أني لست أثق -جعلت فداك- بالناس ولو أنا وجدنا لك ثلاثمائة رجل أثق بهم لقبرنا لك جوانبها)[5].

إلا أنه يبدو أكثر إيجابية مع إبراهيم بن عبد الله العلوي في ثورته على المنصور، فقد كان يخرج إلى الناس ويقول «ما يقعدكم، أما أني لو كنت بصيرا لخرجت»[6].

وحدث في مجلس له بعد مقتل إبراهيم «أما والله لو أن أهل العراق على مثل ما أرى لسرنا حتى ننزل بعقوبته -يعني أبا جعفر- فإذا قيل لي: ما جاء بك يا أعمش؟ قلت جئت لا بيد خضرائك أو تبيد خضرائى كما فعلت بابن رسول الله»[7].

إلا أن ذلك لم يعرضه لتنكيل العباسيين كما فعلوا بغيره من انصبار إبراهيم، بل نال منهم العطاء الذي جعله عيسى بن موسى للفقهاء[8] على ما تذكره بعض مصادر التاريخ، ربما لضعفه وفقدانه البصر وكبر سنه.

توفي رحمه الله سنة١٤٨هـ[9] على أكثر الروايات وقيل غير ذلك رحمه الله فقد كان صورة لعظمة النفس الإنسانية المشبعة بالعلم والمعرفة.

* * *

(١) وفيات الأعيان -حـ٢-ص١٣٧.
(٢) الدميرى حياة الحيوان الكبرى-حـ٢-ص٧٥. طبعة كتاب التحرير.
(٣) المعارف ص٦٢٤. تحقيق. ثروت عكاشة.
(٤) زيد الشهيد ص١١٧ ط١٩٥٣. النجف.
(٥) مقاتل الطالبيين -ص١٠٠. المطبعة الحيدرية.
(٦) نفس المصدر ص٢٤٣.
(٧) نفس المصدر ص٢٥٤.
(٨) تاريخ بغداد حـ٩. ص٩.
(٩) وفيات الأعيان حـ٢ ص٣٨. تاريخ بغداد حـ٩. ص١٣.